وقف مركز مكة العالمي للهداية القرآني
هدى للناس
جمعية القلم للدراسات والأبحاث
مؤتمر
هدايات القرآن في بناء الإنسان

عنوان البحث:

هدايات القرآن النفسية في التعامل مع أصحاب الحاجات الخاصة (سورة عَبَسَ أنموذجاً)

اسم الباحث/ـة

د/ رضوان جمال الأطرش

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة البحث:

كان النبي الكريم يظهر حرصه الكبير على الجانب الوجداني لدى أصحابه الكرام، وذلك من خلال القراءة المؤثرة على وجدان الصحابة الكرام، وهذا ما أثبته القرآن الحكيم من خلال قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣]، وكان يظهر اهتمامًا كبيرًا بحالهم النفسية والمعنوية، وكان دائمًا يبدي لهم التعاطف والرعاية، حيث كثيرًا ما كان يستمع إلى مشاكلهم ويقدم لهم النصائح والدعم اللازم لتخطي التحديات. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتفهم مشاعر أصحابه ويتعامل معهم بلطف وحنان، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. وكان يشجعهم على التعبير عن مشاعرهم وكان دائمًا مستعدًا للاستماع إليهم ومساعدتهم في حل مشاكلهم. ﴿نزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ . عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ . بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ . وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥].

وخير دليل على اهتمام القرآن الكريم بمراعاة مشاعر الآخرين ما كان من يوسف عليه السلام، فقد ألقوه إخوته في الجب وباعوه بثمن بخس دراهم معدودة، ودخل السجن واتهم، وبعد أن مكنه الله تعالى في الأرض، قال لهم: فراعى مشاعرهم في هذا الموقف وقال لهم كما حكاه القرآن: ﴿إذ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بعْدِ أَن نزَغَ الشَّيْطَانُ بيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ [يوسف: ١٠٠]، ولم يتحدث كلمة واحدة عن الجب الذي ألقاه فيه إخوته، ثم تحدث مع أبيه وأهله وإخوته، فقال ملقياً اللوم على الشيطان، فهذا قمة المراعاة للمشاعر، حتى لا يجرح مشاعر إخوانه الذين آذوه أشد الإيذاء.

من جهة أخرى، كان النبي صلى الله عليه وسلم يشجع أصحابه ويدعمهم نفسيًا في كل الأوقات، سواء في الأوقات السعيدة أو الأوقات الصعبة، فكان يعطيهم الأمل والثقة في قدرتهم على تحقيق النجاح وتجاوز الصعوبات، ويربط ذلك بالجانب الروحي وتعزيز الإيمان بالقضاء والقدر، ليتجاوزوا كل مشاكلهم النفسية والاضطرابات والحزن والاكتئاب، ووساوس الشيطان والانطواء على التفكير بالأفكار السلبية.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: وَلَوْ أَنفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ فِي سَبِيلِ الله، ما قَبِلَهُ اللهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ، لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَاكَ، لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ[1]. وهذا هو المعروف عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يعزز الإيمان بالله ويعزز الثقة بالنفس وكل ما يؤدي إلى غرس السكينة والأمن النفسي والسلام الداخلي.

ثم تأتي قصة النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم مع ابن أم مكتوم- رضي الله عنه-، يقول الله عز وجل في سورة عبس: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ . أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ . وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ . أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ . أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ . فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ . وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ . وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ . وَهُوَ يَخْشَىٰ . فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ . كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ . فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ [عبس: ١-١٢].

فإنَّ المشافهةَ بقوله: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ﴾ أدْخَلُ في تشديدِ العتابِ، أيْ وأيُّ شيءٍ يجعلُكَ درياً بحالِه حتى تُعرضَ عنْهُ[2].

وسبب نزولها أنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ عِنْدَهُ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ،

---

[1] أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، موارد الظمآن إلى زوائد أبي حيان، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني – عبده علي الكوشك، (دمشق: دار الثقافة العربية، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م) ج٦، ص٥٧. والحديث إسناده صحيح.

[2] انظر: محمد بن محمد العمادي أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت) ج٩، ص١٠٧.

وَأَبُو جَهْلٍ، وَعُتبَةُ بْنُ رَبيعَةَ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ، وَقَدْ أَقبَلَ إِلَيْهِمْ يَدْعُوهُمْ إِلَى الإِيْمَانِ، وَيقْرَأ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ رَجَاءَ أَنْ يُؤْمِنُوا فَيُؤْمِنُ بِإِيْمَانِهِمْ بَشَرٌ كَثِيرٌ.

فَجَاءَ عَبْدُاللهِ بْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَهُوَ الأَعْمَى الْمَذْكُورُ، فَجَعَلَ يَسْأَلُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَنْ آيَاتٍ أُنْزِلَتْ، وَيقُولُ:

أَقْرِئْنِي يَا رَسُولَ اللهِ، وَعَلِّمْنِي مِمَّا عَلَّمَكَ اللهُ، وَهُوَ لاَ يعْلَمُ شُغْلَ قلْب النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَلاَ يَدْري أَنَّهُ مَشْغُولٌ بالإِقْبَالِ عَلَى غَيْرِهِ، فَأَعْرَضَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَقَطَبَ وَجْهَهُ وَعَبَسَ، وَأقبَلَ عَلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ يُكَلِّمُهُمْ[1]. فأنزلَ اللهُ تعالى هذه الآياتِ.

والمعنى: عبسَ مُحَمَّدٌ، وأعرضَ بوجههِ لأنْ جاءَهُ الأعمَى، و(أنْ) في موضعِ نصبٍ؛ لأنه مفعولٌ له. والتَّولِّي عن الشيءِ: هو الإعراضُ عنه، فإنه صرفَ وجهَهُ عن أنْ يَليهِ. والتولي أصله تحول الذات من مكانها، ويستعار لعدم اشتغال المرء بكلام يلقى إليه أو جليس يحل عنده، وهو هنا مستعار لعدم الاشتغال بسؤال سائل ولعدم الإقبال على الزائر[2].

وفي ذلك فائدة الإرشاد والتعليم بالنسبة إلى هذا الأعمى أمر معلوم وبالنسبة إلى أولئك أمر موهوم لأنه جاء طالباً مسترشداً وأنهم جاءوا مستهزئين معاندين[3]. يقول فخر الدين الرازي: ظاهر الواقعة يوهم تقديم الأغنياء على

---

[1] أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤٢٠هـ)، ج٣١، ص٥٢.

[2] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٣١، ص١٠٣.

[3] محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء، غرائب التفسير وعجائب التأويل، (جدة: دار القبلة للثقافة الإسلامية، بيروت: مؤسسة علوم القرآن، د.ط، د.ت) ج٦، ص٤٤٦.

الفقراء، وانكسار قلوب الفقراء، فلهذا السبب حصلت المعاتبة، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِٱلْغَدَاةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ [الأنعام: ٥٢][١].

معنى العبوس: عَبَسَ يعْبِسُ عبوساً فهو عابس الوجه غضبان. فإن أبدى عن أسنانه في عبوسه قلت كلح. وإن اهتم لذلك وفكر فيه، قلت: بَسَرَ، وهكذا قول الله عز وجل عَبَسَ وَبَسَرَ[٢].

ويوم عبوس: شديد. وقد جاء في كتاب العين، أنه عبس صلى الله عليه وسلم في وجه ابن أم مكتوم ولم يكن ذلك من التهاون به، ولكن لما كان يرجو من إسلام ذلك الرجل[٣].فإنه من تمام النعم على الإنسان أن يصبح معافاً في بدنه لا يعيقه أمر عن أداء الواجبات والمسؤوليات الملقاة على عاتقه، فلا يكون عبئاً على أحد، ولهذا قال نبينا الكريم ﷺ : «من أصبح آمنا في سربه، معافاً في بدنه، له قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها»[٤].

تحديد المصطلحات المتعلقة بالبحث:

الإعاقة لغة: قال الجوهري صاحب الصحاح: الفعل الثلاثي عوق، عاقه عن كذا يعوقه، واعاقه، أي حبسه وصرفه عنه. وعوائق الدهر:

---

(١) فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، ج٣١، ص٥٣.

(٢) أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، كتاب العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، (د.م: دار ومكتبة الهلال، د.ط، د.ت) ج١، ص٣٤٣.

(٣) أبو عبد الرحمن الخليل الفراهيدي، كتاب العين، ج١، ص٣٤٣.

(٤) أخرجه ابن ماجة، انظر: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد – محمَّد كامل قره بللي – عَبد اللّطيف حرز الله، (د.م: دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، ج٥، ص٢٥٣. رقم: (٤١٤١) أبواب الزهد، بَابُ الْقَنَاعَةِ.

الشواغل من أحداثه. والتعوق: التثبط. والتَعْويقُ: التثبيطُ[1]. ومنه قوله تعالى : ﴿قَدْ يعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾ [الأحزاب: ١٨].

من معاني الإعاقة: التثبيط، والحبس، والعجر.

الإعاقة اصطلاحاً: نقص يصيب المرء في عقله، أو جسمه، أو نفسه، خِلْقَةً، أو بسببِ ما قضاه الله وقدره عليه ابتلاء له يجعله هذا من أهل الأعذار الّذين خصهم الشّارع الحكيم بأحكام خاصّة.

أو هي: عجز الفرد عن القيام بمهارات الحياة الأساسية، وذلك نتيجة لفقدان خلل في جوانب شخصيته سواءً نفسياً أو اجتماعياً أو جسمياً.

مجالات الإعاقة كما يصورها القرآن

الإعاقة المعنوية: ومن هذه الإعاقات الخطيرة، عمى البصيرة، فقد أشارت إليه آيات كثيرة منها ما قد قاله تعالى عن المنافقين: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فهُمْ لَا يرْجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٨]. وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فتَكُونَ لَهُمْ قلُوبٌ يعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

ثم قال تعالى عن هذه الإعاقة المعنوية: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٢]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ [طه: ١٢٤].إن أصحاب الحاجات الخاصة قاموا بواجبهم على حسب إمكاناتهم، ولكن الناس أطلقوا عليهم ألقاباً قد

---

[1] أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (بيروت: دار العلم للملايين، ط٤، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ج٤، ص١٥٣٤.

تؤثر نفسياً على القيام بالدور الحضاري المنشود منهم، مثل عاجزين، ذوي العاهات، مقعدين. وحتى المراجع العلمية أسمتهم معاقين عن أداء بعض المهام دون تقديم تفهم لأوضاعهم، أي بمعنى أنهم عجزوا عن التكيف مع المجتمع. وكأن الله عز وجل يقول:

إن المعاقين الحقيقيين هم ليسوا هؤلاء من أصحاب الحاجات الخاصة، بل إن المعاقين الحقيقيين هم الذين لم يؤدوا دورهم الخلافي والتعبدي لله رب العالمين، وأن الذي لا يتكيفون مع البيئة التي يعيش فيها نفسياً واجتماعياً وعاطلون عن الأعمال التي يفترض أن يقوموا بها، هم مشلولون بل متخلفون عقلياً عن مداراة الظروف التي يعيش بها أفراد المجتمع.

ضوابط وضعها الخطاب القرآني للتعامل مع أصحاب الحاجات الخاصة من خلال سورة عبس:

الضابط الأول:

التكريم: للتكريم له أبعاد نفسية عظيمة، منها: إظهار الاعتراف بالوجود لأصحاب الحاجات النفسية، والاعتراف بالوجود يؤدي إلى التقدير بأن جهوده وإنجازاته محط الاعتبار، مما يؤدي إلى الشعور بالفخر والثقة بالنفس. هذا التكريم يجب أن يكون لكل إنسان مهما كان ظرفه ووضعه النفسي، ذلك أن الإنسان بشكل عام قد كرمه الله تعالى تكريماً خاصاً، وفضله على جميع المخلوقات، فقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

فالعبرة في التكريم ليست مرتبطة بقوة الإنسان أو ضعفه، بل مرتبطة بالإيمان بالله عز وجل، وهذا ما أشارت إليه سورة عبس، حينما أنزل الله عز وجل سورة كاملة تتحدث عن رجل يريد أن يتعلم القرآن.

كما أن من دلالات التكريم النفسية التحفيز على مزيد من العمل في وسط أجواء إيجابية.

الضابط الثاني:

الدعم النفسي: إن الدعم النفسي واجب إنساني لأصحاب الحاجات الخاصة في كل الأوقات:

إن الهدايات القرآنية المستنبطة من سورة عبس تشير إلى أن مجرد العبوس في وجه الأعمى، خطأ جسيم في حقه، يشعره بالانتماء الاجتماعي ويجعله يندمج في المجتمع الذي يعيش فيه، رغم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم بواجب الدعوة، لزعماء القوم، وأن في إسلامهم فرصة لإسلام الناس وعوامهم.

فتعزيز الجانب الوجداني يساعد على تعزيز الثبات النفسي والقلبي والإيماني، ويحسن المزاج ويشعر بالسعادة، والراحة النفسية. فحينما يشعر صاحب الحاجة الخاصة أن الله عز وجل ينتصر له حتى من نبيه محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو أحب خلق الله إلى الله، يثبت قلبه وتتعزز نفسيته.

فالجانب النفسي له أهميته في تشكيل شخصياتهم وإظهار القدرات التي تجعل أصحاب الحاجات الخاصة ينسون أنهم في إعاقات، بل تشعرهم بأنهم أسوياء ومتفاعلين في المجتمع. هذا يشعره بالأمن والاستقرار، ويبعد عنه القلق النفسي الذي في أغلب الأحيان يتسبب في الاضطرابات النفسية.

الضابط الثالث:

حماية المعاق من كل تعسف واضطهاد، وتحميله ما لا يطاق، وإعادة الكرامة المفقودة له، وإحاطته بالتشريعات والنظم الإنسانية العادلة والتي تساوي بين البشر في الحقوق والواجبات ، فلا تفاضل بينهم إلاّ بتقوى الله عز وجل.

الهدايات النفسية المستنبطة من سورة عبس:

الهدايات النفسية المستنبطة من العبوس في وجه الأعمى:

الهداية النفسية الأولى:

في قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ﴾ [عبس: ١-٢] هدايات نفسية كثيرة، منها: إن آثار الإعراض والتولي والعبوس في وجه رجل أعمى عميقة الجروح، فكل هذه مصطلحات نفسية خطيرة، وخصوصاً إذا شعر فيها الإنسان العادي، فكيف لو كانت في حق رجل مؤمن أعمى.

ذلك أن من معاني العبوس: الغضب، والكلح، والبسر، لقوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَبَسَرَ﴾]سورة المدثر:٢٢] [(١).

ومن آثار العبوس المتوقعة في وجه الأعمى تبني سلوكيات سلبية،

ومنها ما يلي:

١. **تبني سلوكيات الإحباط والتشاؤم:** عندما يتعرض رجل أعمى للإعراض والتولي والعبوس، قد يشعر بالإحباط والتشاؤم، حيث يرى أنه لا يحظى بالاهتمام والتقدير من الآخرين بسبب حالته.

٢. **تبني سلوك الشعور بالعزلة والوحدة:** يمكن أن تزيد هذه السلوكيات من شعور الرجل الأعمى بالعزلة والوحدة، إذا شعر بأن الناس يبتعدون عنه أو يتجاهلونه بسبب حالته.

٣. **زيادة في تدهور الصحة النفسية:** قد تؤدي هذه السلوكيات إلى تدهور صحة الرجل النفسية، حيث يمكن أن تؤثر سلبًا على مستوى التوتر والقلق الذي يشعر به.

---

(١) أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، كتاب العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، (د.م: دار ومكتبة الهلال، د.ط، د.ت) ج١، ص٣٤٣.

٤. **تأثير على الثقة بالنفس:** قد يؤدي التعرض لهذه السلوكيات إلى نقص في الثقة بالنفس لدى الرجل الأعمى، إذا شعر بأن حالته تجعله غير مقبول أو غير مرغوب فيه من قبل الآخرين.

الآثار الدينية والروحية: إن شعور الأعمى بأن الناس يعاملونه بالعبوس والتولي والإعراض قد يزيد من صعوباته في تطبيق قيمه الدينية والروحية، وقد يؤثر سلبًا على علاقته بالله وبالآخرة.

ففي سورة عبس، رسالة لكل المستضعفين في الأرض، وخصوصاً أصحاب الحاجات الخاصة، أن الله تعالى ناصرهم ومعينهم في كل الظروف النفسية الصعبة التي يعيشونها. فسورة عبس، بالنسبة إلى أصحاب الحاجات النفسية هي سورة الأمل والتفاؤل، وهي سورة تبعث الروح في نفوسهم، لأنها تتحدث عن موقف نصر الله فيه عبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولو صدر خطأ ما ضد أصحاب الحاجات الخاصة، فلا بد من الوقوف في وجهه مهما كان فاعله.

كما حصل مع نبي الله صلى الله عليه وسلم حين عبس في وجه عبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه، فنصره الله في إنزال سورة تتلى إلى يوم البعث والدين.

الهداية النفسية الثانية:

مأخوذة من قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ﴾ [عبس: ١-٢]. **وفيها ضرورة فهم معاني العبوس لتجنب استعماله، وإدراك خطورته النفسية في وجه كل إنسان وبالذات أصحاب الحاجات الخاصة.**

وهذا يتطلب منا إدراك الآتي:

١. **ضرورة استيعاب سبب النزول لهذه السورة المباركة:**

وسبب نزولها أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ عِنْدَهُ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ، وَأَبُو جَهْلٍ، وَعُتبَةُ بْنُ رَبيعَةَ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ، وَقَدْ أقبَلَ إِلَيْهِمْ يَدْعُوهُمْ إِلَى الإِيْمَانِ، وَيقْرَأ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ رَجَاءَ أَنْ يُؤْمِنُوا فَيُؤْمِنُ بِإِيْمَانِهِمْ بَشَرٌ كَثِيرٌ. فَجَاءَ عَبْدُاللهِ بْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَهُوَ الأَعْمَى الْمَذْكُورُ، فَجَعَلَ يَسْأَلُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَنْ آيَاتٍ أُنْزِلَتْ، وَيقُولُ: أَقْرِئْنِي يَا رَسُولَ اللهِ، وَعَلِّمْنِي مِمَّا عَلَّمَكَ اللهُ، وَهُوَ لاَ يعْلَمُ شُغْلَ قلْب النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم وَلاَ يَدْري أَنَّهُ مَشْغُولٌ بالإِقْبَالِ عَلَى غَيْرِهِ، فَأَعْرَضَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَقَطَبَ وَجْهَهُ وَعَبَسَ، وَأقبَلَ عَلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ يُكَلِّمُهُمْ[1]. فأنزلَ اللهُ تعالى هذه الآياتِ.

٢. **ضرورة استيعاب معاني العبوس اللغوية ودلالاته النفسية:** العبوس يعني الإعراض، وصرف الوجه عن، والغضب مع إبداء الأسنان، والكلح، والشدة والتهاون. جاء في كتاب العين: عَبَسَ يعْبِسُ عبوساً فهو عابس الوجه غضبان. فإن أبدى عن أسنانه في عبوسه قلت كلح. وإن اهتم لذلك وفكر فيه، قلت: بَسَرَ، وهكذا قول الله عز وجل عَبَسَ وَبَسَرَ، ولكن عبوس رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجه ابن أم مكتوم لم يكن بسبب التهاون به، ولكن لما كان يرجو من إسلام ذلك زعماء قريش[2]. كما أن قصد النبي الكريم صلى الله عليه وسلم تأليف قلوب زعماء قريش، ثقة بما كان في قلب ابن أم مكتوم من الإيمان.**فالعبوس له دلالات نفسية خطيرة منها:**

إن تقطيب الوجه وإظهار الغضب من وجه دائم البسم له دلالات نفسية

---

[1] فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، ج٣١، ص٥٢.

[2] انظر: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، كتاب العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، (د.م: دار ومكتبة الهلال، د.ط، د.ت) ج١، ص٣٤٣.

عظيمة، فالابتسامة لها أثر بالغ على النفس، وذهاب همها ومتاعبها، فلها أثر عجيب في إشاعة أجواء الطمأنينة، فالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لم تفارق الابتسامة محياه، أخرج الترمذي في سننه بسنده عن عبد الله بْنِ الحَارِثِ بْنِ جَزْءٍ، قَالَ: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[1]. ولشدة تأثير هذه الكلمة وصف الله تعالى يوم القيامة بالعبوس، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٠]. أي يوماً ضيقاً صعباً شديداً طويلاً تعبس من هوله الوجوه[2].

الهداية النفسية الثالثة:

وهي مأخوذة من قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ﴾ [عبس: ١-٢]. في سورة عبس رسالة لكل طبقات المجتمع الأصحاء، أن يقوموا بدورهم البناء في حماية حقوق أصحاب الحاجات الخاصة، وتلبية رغباتهم.

وأن المجتمعات التي تعجز عن استيعاب هذه الفئة هي مجتمعات فاشلة، لأن كثيراً من أصحاب الحاجات الخاصة لديهم قدرات جبارة، ولا بد من الاستفادة من الطاقات الكامنة في نفوس تلك الفئة المبتلاة. ولذلك لا بد أن يدرك الإنسان قيمة النعم الآتية:

---

[1] محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، (مصر: شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٢، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) ج٥، ص٦٠١. رقم الحديث: ٣٦٤١، حكم الألباني: صحيح. أبواب المناقب، بَابٌ فِي بَشَاشَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

[2] أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٠هـ) ج٥، ص١٩٢.

١. **إدراك نعمة العافية البدنية:** إنه من تمام النعم على الإنسان أن يصبح معافاً في بدنه لا يعيقه أمر عن أداء الواجبات والمسؤوليات الملقاة على عاتقه، فلا يكون عبئاً على أحد، ولهذا قال نبينا الكريم ﷺ وهو يتحدث عن نعمة العافية في البدن: «**من أصبح آمنًا في سربه، معافاً في بدنه، له قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها**»[١].

وجاء في تهذيب اللغة: وأما العافية، فأن يعافيه الله من سقم أو بلية. وأعفاه أَي وهب لَهُ الْعَافِيَة من العِلَل والبلايا. وأمَّا المعافاة فَأن يعافيك الله من النَّاس ويعافيهم مِنْك[٢].

٢. **إدراك نعمة الصحة النفسية:** من الضروري ربط الدين وبيان آثاره الإيمانية على الصحة النفسية، فالإنسان العاقل يدفع عن حاله ونفسه كل ما يضره ويفسد نفسه وبدنه، مصداقاً لقول الله العليم الحكيم: ﴿وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَا﴾ [البقرة: ١٩٥] .

فالصحة النفسية تعني الحياة التي تتضمن الرفاهية والاستقلال والجدارة والكفاءة الذاتية بن الأجيال، وإمكانات الفرد الفكرية والعاطفية. هذا تعريف منظمة الصحة العالمية.

ولكن الصحة النفسية في الإسلام وفي القرآن، هي التي الصحة التي تأتي من نفس راضية مرضية، مطمئنة، إيجابية متفائلة، تتعامل برضا كامل مع

---

(١) أخرجه ابن ماجة، انظر: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد – محمَّد كامل قره بللي – عَبد اللّطيف حرز الله، (د.م: دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، ج٥، ص٢٥٣. رقم: (٤١٤١) أبواب الزهد، بَابُ الْقَنَاعَةِ.

(٢) انظر: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، ت: محمد عوض مرعب، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م) ج٣، ص١٤١.

الأحداث الفرحة والحزينة. فإن أذنبت واقترفت إثماً سارعت إلى التوبة والعمل الصالح ؛لأن ذلك يورثها طهارة روحية وصحة نفسية عالية.

ولا يخفى على كل عاقل، أن النفس إذا طهرت من الآثام فإن ذلك يساعد على إزالة المشاعر الكئيبة والضيق والحزن والقلق واليأس والقنوط والإحباط، الأمر الذي يؤدي إلى طمأنينة وسعادة تؤثر على أعضاء البدن فيشعر بصحة نفسية عالية، وهذا ما أثبته القرآن الحكيم حين قال سبحانه: ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٨٤].

فالحزن إذا استمر ودام فهو يسبب لصاحبه تلف في كثير من الأعضاء، ومنها البصر. وهذا ما حصل لسيدنا يعقوب عليه السلام.

ثم إن اليأس والقنوط إذا استوليا على قلب الإنسان وعقله حطمتاه، وعجز عن أداء دوره الاستخلافي، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، وقال تعالى: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦].

٣. إدراك صور التعامل مع أصحاب الحاجات الخاصة،

وذلك يكون بما يلي:

القَبول: يعني التقبل، وهو يرد لمعانٍ، منها: أَخذ الشَّيْء عَن طيب خاطر. وهو بفتح القاف: الْمحبَّة والرضاء بالشَّيْء، وميل النَّفس إِلَيْهِ[1]. والعبوس يدل على عكس كل هذه المعاني.

وأما بالنسبة إلى أصحاب الحاجات الخاصة فهذا يتضمن قبولهم الكلي، وقبول هيئاتهم بشكل لا تكلف فيه ولا تصنع، فلا بد أن نقبلهم في المجتمع، مع ميل من نفوسنا إليهم، بمعنى أن نخلق بيئة تربوية ونفسية لهم، لكي نتقبل

[1] عواد بن عبد الله المعتق، شروط لا إله إلا الله، (المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، طبعة السنة السادسة والعشرون – العددان (١٠١، ١٠٢) – ١٤١٤/١٤١٥هـ، ص٤٤٢.

هذه الفئة مهما كان وضعها. ولقد أثبتت التجارب أن كثيراً منهم يملكون طاقات ومواهب قد تصل أحياناً إلى مستوى خرق العادة.

مما يعني ضرورة قبولهم، لأن القبول بشكل عام متعلق بأداء الأعمال على الوجه المطلوب.

ولذلك فإن أكثر الناس أداء للأعمال بحق هو رسول الله صلى الله عليه وسلم،

وقد قيل في حق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من صفات القبول أربع: العلم والنصح، والصدق والبيان.

فيجب علينا أن نقبل كل ما أخبر به عن ربه[1]. فكل أخبار الثقات مقبولة عند أهل العلم، وقد ثبت عن عليّ – رضي الله عنه – أنّه كان إذا اتّهم الرّاوي حلّفه، فإذا حلف له صدّقه كما رواه الذّهبيّ، وقد قبل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حديث الأعرابيّ في الشّهادة على هلال رمضان كما صحّحه الحاكم[2].

وهناك الكثير من الأحاديث النبوية التي تشير إلى ذلك، ومنها من أخرجه البخاري في صحيحه بسنده، قال: حدثنا سليمان بن حرب حدثنا محمد بن طلحة عن طلحة عن مصعب بن سعد قال: رأى سعدٌ رضي الله عنه أن له فضلاً على من دونه. **فقال النبي صلى الله عليه وسلم:**

---

[1] محمد بن صالح بن محمد العثيمين، شرح العقيدة الواسطية، خرج أحاديثه واعتنى به: سعد بن فواز الصميل، (المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، ط٦، ١٤٢١هـ) ج١، ص٨٦.

[2] ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين، من آل الوزير، الرَّوضُ البَاسِمْ في الذّبِّ عَنْ سُنَّةِ أبي القَاسِم – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، تقديم: فضيلة الشيخ العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد، اعتنى به: علي بن محمد العمران، (د.م: دار عالم الفوائد، د.ط، د.ت) ج، ص.

«**ابغوني الضُّعفاءَ، فإنَّما تُرزقونَ وتُنصرونَ بضعفائِكُمْ**»[1].

أي: اطْلُبوا لي "الضُّعفاءَ"، أي: الفُقراءَ ومَنْ لا يُبالي النَّاسُ بِهم لِرَثاثةِ حالِهم وهيئتِهم، وطَلَبُه لهم صلَّى اللهُ عليه وسلَّم إنَّما يَكونُ بالتَّقرُّبِ إليهِم وتَفقُّدِ حالِهم، وحِفْظِ حقوقِهم والإحسانِ إليهم قولًا وفعلًا.

"فإنما ترْزَقون"، أي: يرْزُقُكم اللهُ عزَّ وجلَّ، "وتنْصَرونَ"، أي: على عدوِّكُمْ في المعارِكِ ونحوِها "بضُعفائِكُم"، أي: بسَببِ كَونِهم بينَ أظْهُرِكم ورِعايتِكم لهم، وبرَكةِ دُعائِهِم، والنُّصرةُ بالضُّعفاءِ تكونُ مع أخْذِ الأُمَّةِ بأسبابِ النَّصرِ الأخرى أيضًا؛ من إقامةِ دِينِ اللهِ جلَّ وعلا، والعدلِ، والأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ، وعدمِ التفرُّقِ أحزابًا وشِيعًا، وغيرِ ذلك من أسبابِ النَّصرِ.

قال ابن بطال: تأويل الحديث أن الضعفاء أشد إخلاصاً في الدعاء، وأكثر خشوعاً في العبادة لخلاء قلوبهم عن التعلق بزخرف الدنيا، وزينتها وصفاء ضمائرهم مما يقطعهم عن الله فجعلوا همهم واحدًا؛ فزكت أعمالهم، وأجيب دعاؤهم[2].

فالنبي ﷺ أراد توجيه رسالة قوية إلى كل من يظن في نفسه قوة وفضلًا على الآخرين بسبب شجاعته أو ثرائه أو نجاحه في المعارك، حيث أخبر سعداً وجميع الأغنياء والأقوياء بأنهم لم يصلوا إلى مكانتهم إلا بفضل الضعفاء ودعائهم. يبرز هذا الأمر وضوحًا صفاء ضمائرهم وقلة تعلقهم بمتاع الدنيا، مما يجعلهم يتفرغون للعبادة بإخلاص ويكون دعاؤهم مستجابًا.

توفير بيئة إيمانية لهم: إن توفير سبل التدين يسهم في تخفيف معاناة المعوقين،

---

[1] الترمذي، سنن الترمذي، أبواب الجهاد، بَابُ مَا جَاءَ فِي الِاسْتِفْتَاحِ بِصَعَالِيكِ المسْلِمِينَ، رقم الحديث: ١٧٠٢. حكم الألباني: صحيح.

[2] ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، شرح صحيح البخاري لابن بطال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، (الرياض: مكتبة الرشد، ط٢، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م) ج٥، ص٩٠.

وتخفيف الألم عنهم، حيث تزيد الصلاة والاستغفار والدعاء والصلاة على النبي محمد ﷺ من السكينة في القلب، وتقبل ما ألم بهم برضا، وذلك بالإضافة إلى البيئة المشجعة والمفعمة بالتفاؤل، حيث يتحدث الجميع بالخير والرضا بقضاء الله وقدره، مؤمنين بأن الله تعالى يريدهم بخير ويكافئهم بأجر عظيم. كما يحذرهم من اليأس والقنوط والغضب بقضاء الله وقدره، ويقرأون أمامهم الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تزيد من إيمانهم وصبرهم وتطمئن قلوبهم.

آيات قرآنية ضرورية يجب أن يسمعها أصحاب الحاجات الخاصة

١. قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٢-٢٣].

٢. وقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

أحاديث نبوية مختارة لا بد أن يسمعها أصحاب الحاجات الخاصة

١. عن أبي هريرة يَرْفَعُهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ ﷺ: «يَقُولُ اللهُ: من أذهبت حبيبتيه فصبر واحتسب لم أرض له بثواب دون الجنة»[1].

---

[1] أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م) ج١٣، ص٣٩. والحديث إسناده صحيح على شرط الشيخين. عبد الرزاق: هو ابن همام الصنعاني، وسفيان: هو ابن سعيد الثوري، والأعمش: هو سليمان بن مِهْران، وذكوان: هو السمان أبو صالح. رقم الحديث: ٧٥٩٧.

٢. قال رسول الله ﷺ: «عجبت للمؤمن إن أصابه خير حمد الله وشكره وإن أصابته مصيبة احتسب وصبر فالمؤمن يؤجر في كل شيء حتى في اللقمة يرفعها إلى فيه».

٣. عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ: «ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها».

وَفِي رِوَايَةِ مَعْمَرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ مَرِضٍ أَوْ وَجِعٍ يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ إِلاَّ كَانَ كَفَّارَةً لِذُنُوبِهِ حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا أَوِ النَّكْبَةُ ينْكَبهَا»

٤. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَصَابَتْ أَحَدَكُمْ مُصِيبَةٌ فلْيقُلْ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ اللَّهُمَّ عِنْدَكَ أَحْتَسِبُ مُصِيبَتِي فَآجِرْنِي فِيهَا وَأَبْدِلْ لِي خَيْرًا مِنهَا».

الهداية الثالثة:

عدم التشفي في أحوال أصحاب الحاجات الخاصة: قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ [عبس: ٧] إلى قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ . فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ [عبس: ١١-١٢]

حذر الإسلام تحذيراً خطيراً كل من ينظر إلى المعاق نظرة احتقار وتشف وسخرية واستهزاء... وصرح بما يجرح كرامته وإنسانيته وإحساسه، فقد قال النبي ﷺ – فيما رواه الترمذي – «لا تظهر الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويبتليك». وفي رواية: «فيعافيه الله ويبتليك»[1].

فإذا كان الله عز وجل قد دافع عن أصحاب الحاجات الخاصة، وعاتب نبيه العظيم على عبوسة خفيفة لم يرها ذلك الصحابي الكفيف، فإنه تعالى نهانا كذلك في أسلوب زاجر عن تحقير أيّ فرد من أفراد المجتمع المسلم، أو

[1] أخرجه الترمذي، السنن، أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رقم الحديث: ٢٥٠٦. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

السخرية به، أو النّفور منه، بسبب مرضه أو إعاقته، كما كان يفعل الجاهليون قبل الإسلام. لأن العمى يوجب العطف والرأفة عند ذوي الآداب غالباً لا التولي والعبوس.

والحدث يتحدث عن أمرين: كلي وجزئي، ولا يخفى أن نظر النبي صلى الله عليه وسلم كان على أمر كلي، هو رجاء إسلام قريش، فإنه في الظاهر أهم من إجابة رجل أعمى على الفور، إلا أنه سبحانه عدّ هذا الجزئي كلياً من جهة أخرى، هي تطييب قلوب الفقراء والضعفاء، وإهمال جانب أهل الغنى والثراء.

وكل ذلك حصل ؛لأن ابن أم مكتوم جاء النبي الكريم مسرعاً في مشيه وعازماً في قصده كي يلتمس منه العلم والتعلم بالقرآن، ونيل الرشد وخصال الخير، على عكس هؤلاء الذين كانوا يرفضون كلام النبي صلى الله عليه وسلم ويستهزؤون به. فجاء اللوم لأن النبي صلى الله عليه وسلم أقبل بوجهه إليهم رغم إعراضهم.

فجاء الجواب بصيغة الردع له صلى الله عليه وسلم: كَلاَّ: أي لا تفعل مثل هذا أبداً، وتعرض عن الفقير المؤمن، وتتصدى للغني المستكبر.

فأرشده الله سبحانه إلى ما هو الأولى به[1].

والذي يظهر والله تعالى أعلم أنه لا يتأتى معه لأنه ﷺ يتكلم بما يسيء إلى هذا الصحابي في نفسه بشيء يسمعه فيزعجه كل ما كان منه ﷺ إنما هو تقطيب الجبين، وهذه حركة مرئية لا مسموعة. فقد كان منه رضي الله عنه أنه كان يقطع كلام النبي الكريم صلى الله عليه وسلم.

يقول الشنقيطي: "وعلى هذا يكون المراد بهذا أمران:

الأول: التسامي بأخلاقه ﷺ إلى ما لا نهاية له إلى حد اللحظ بالعين،

---

[1] محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، (دمشق: دار ابن كثير، بيروت: دار الكلم الطيب، ط١، ١٤١٤هـ) ج٥، ص٤٦٣.

والتقطيب بالجبين، ولو لمن لا يراه كما قال ﷺ: «إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَنْ تَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ الْأَعْيُنِ»[1]. وخائنة الأعين هي: هَمْزُهُ بِعَيْنِهِ، وَإِغْمَاضُهُ فِيمَا لَا يُحِبُّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ[2].

والثاني: تأديب للأمة وللدعاة خاصة في شخصية رسول الله ﷺ كما علمهم في شخصيته في بر الوالدين في قوله تعالى: ﴿إِمَّا يبلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تنهَرْهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣].

تصرفات إيجابية من النبي العظيم محمد صلى الله عليه وسلم تجاه ابن أم مكتوم رضي الله عنه:

١. فقد جاء عنه ﷺ أنه كان بعد نزولها يقول له: «مرحباً أو أهلاً فيمن عاتبني فيه ربي[3]، ويقول: هل لك من حاجة، واستخلفه على المدينة مرتين[4].

٢. ولأجل هذا كان يشارك المؤمنين بالجهاد، يقول أنس بن مالك:

---

[1] أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني ، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت – صيدا: المكتبة العصرية، د.ط، د.ت)، كتاب الجهاد، بَابُ قَتْلِ الْأَسِيرِ وَلَا يُعْرَضُ عَلَيْهِ الْإِسْلَامُ، ج٣، ص٥٩. حكم الألباني: صحيح. رقم الحديث: ٢٦٨٣.

[2] أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي، المجالسة وجواهر العلم، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، (البحرين – أم الحصم: جمعية التربية الإسلامية، بيروت: دار ابن حزم، د.ط، ١٤١٩هـ) ج٣، ص٢٩٠.

[3] أورده الديلمي في ((الفردوس)) (رقم٦٨٠٥) بدون سند عن أنس رضي الله عنه، لكن روى أبو يعلى في ((مسنده)) بإسناد ظاهره الصحة عن أنس رضي الله عنه؛ قال: ((جاء ابن أم مكتوم إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وهو يكلِّم أبي بن خلف، فأعرض عنه، فأنزل الله: {عَبَسَ وَتَوَلَّى})) . قال: ((فكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يكرمه)). انظر: ((مسند أبي يعلى)) (٥/٤٣١/رقم٣١٢٣).

[4] جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي، تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، (الرياض: دار ابن خزيمة، ط١، ١٤١٤هـ) ج٤، ص١٥٥.

«رأيته يوم القادسية وعليه درع وله راية سوداء»[١].

٣. وقيل: قُتِل شهيداً بالقادسية في خلافة عمر.

٤. وفيه نزلت هذه السورة وآية غير أولي الضرر من سورة النساء[٢].

٥. وكان مؤذن النبيء – صلى الله عليه وسلم – هو وبلال بن رباح[٣].

٦. أجمع المفسرون على أن الذي عبس وتولى هو الرسول عليه الصلاة والسلام، وأجمعوا (على) أن الأعمى هو ابن أم مكتوم[٤].

٧. وهو ابنَ خال خديجة أمِّ المؤمنين رضي الله عنها[٥].

الهدايةالرابعة:

في الآية تعريض بكفار قريش (أَوْ يَذَّكَّرُ فتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰ):

إن ذكر الله لهذا الرجل بهذا الوصف كان من باب التعريض بغيره من أولئك الصناديد، وسادة القوم، وكأنه يقول لهم أنتم العميان الحقيقيون: ﴿فَإِنَّهَا لا تعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]. وفي الآية تعريض وإشعار بأن من تصدى صلى الله عليه وسلم لتزيكتهم وتذكيرهم من الكفرة لا يرجى منهم التزكي والتذكر أصلاً. فهذا كفيف البصر، ولكن وقاد البصيرة أبصر الحق وآمن، وجاء مع عَماه يسعى طلباً

---

[١] أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ)، تفسير عبد الرزاق، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ) ج٣، ص٣٩٢. رقم: ٣٤٩٤.

[٢] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٣١، ص١٠٣.

[٣] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٣١، ص١٠٣.

[٤] فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، ج٣١، ص٥٣.

[٥] أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل (بيروت: دار الفكر، ط١، ١٤٢٠هـ) ج١٠، ص٤٠٧.

للمزيد من الهدى والعلم والفهم والتبصر، وأنتم يا كفار قريش تغلقت قلوبكم، وعميت بصائركم، فلم تدركوا الحقيقة، ولم تبصروا نور الإيمان. والتعرض لعنوان عماه؛ إما لتمهيد عذره في الإقدام على قطع كلامه صلى الله عليه وسلم وتشاغله بالقوم، وإما لزيادة الإنكار، كأنه قيل: تولى لكونه أعمى. وكان يجب أن يزيده لعماه، تعطفاً وترؤفاً وتقريباً وترحيباً[1].

من هدايات الآية: فيها بيان لموقفه صلى الله عليه وسلم من جميع الأمة، وحرصه على إسلام الجميع حتى من أعرض واستغنى، شفقة بهم ورحمة، كما بين تعالى حاله صلى الله عليه وسلم بقوله: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] وكقوله: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفاً﴾ [الكهف: ٦] [2].

الهداية الخامسة:

إن العبوسة أمر لا يتفق في الظاهر مع قوله تعالى في حقه ﷺ حتى ولو يكن ذلك مرئياً من الصحابي الكفيف ابن أم مكتوم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وقوله ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]. فالعبوسة جاءت لأن ابن أم مكتوم قال له وهو يناديه ويكثر النداء، ولا يدري أنه صلى الله عليه وسلم كان مشغولاً بغيره، علمني مما علمك الله. وقال في نفسه: يقول هؤلاء: إنما أتباعه العميان والسفلة والعبيد;

---

[1] أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٠٧هـ)، ج٤، ص٧٠١.

[2] محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م)، ج٨، ص٤٣٣.

فعبس وأعرض عنه، وأقبل على القوم يكلّمهم[1].

والذي يظهر والله تعالى أعلم، أنه لا يتأتى معه، لأنه صلى الله عليه وسلم لم يتكلم بما يسيء إلى هذا الصحابي في نفسه بشيء يسمعه فيزعجه، كل ما كان منه صلى الله عليه وسلم إنما هو تقطيب الجبين، وهذه حركة مرئية لا مسموعة[2].

وهذا تلخيص لبعض الهدايات المستنبطة من هذا الحادث العجيب:

١. النبي صلى الله عليه وسلم يتصف بالصفات النبيلة حتى في مواقف الاعتداء عليه، فهو لا ينتقم أو ينتقد، بل يبقى مطمئناً لما هو عليه من خير في دينه.

٢. تظهر روح التسامح والرحمة في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، حيث لم يعاتب الأنصار على عدم إعطائهم ما أعطى المهاجرين، بل رضي الأنصار وبكوا فرحاً ورضا.

٣. التعبير الجسدي للحزن أو الفرح يظهر في سلوكيات النبي صلى الله عليه وسلم، ويرتبط ذلك بباب الجبلية تقريباً، مما يوحي بغرض عام من خصوص الرسالة ومهمتها.

٤. مع ذلك، يتجلى تسامح النبي صلى الله عليه وسلم حيث كان يرحب بمن عاتبه فيه ربه، ويكرمه، وقد استخلفه على المدينة مرتين، مما يبرز قدرته على التسامح والمغفرة.

وعلى هذا يكون المراد بهذا أمران:

الأول: التسامي بأخلاقه صلى الله عليه وسلم إلى ما لا نهاية له، إلى حد اللحظ بالعين، والتقطيب بالجبين، ولو لمن لا يراه، كما قال صلى الله عليه

---

[1] أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، أبو إسحاق، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م) ج١٠، ص١٣٠.

[2] الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج٨، ص٤٣١.

وسلم: «إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَنْ تَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ الْأَعْيُنِ»[1]. وذلك في صلح الحديبية.

والثاني: تأديب للأمة وللدعاة خاصة، في شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما علمهم في شخصيته في بر الوالدين،في قوله تعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣] [2].

وهذا السياق بكامله من أول السورة إلى قوله تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُ﴾ [عبس: ١١-١٢]، بيان لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يراعي في الدعوة إلى الله غنياً ولا فقيراً، وأن يصبر على ضعفه المؤمنين؛ لأن الرسالة تبليغ وليس عليه ما وراء ذلك من مسؤولية، فلا يتكلف لهم[3].

وقد حثه الله تعالى على الصبر مع المؤمنين، لإيمانهم في قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَاةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٨-٢٩].

ومثله قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِٱلْغَدَاةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٢].

---

[1] أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني ، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت – صيدا: المكتبة العصرية، د.ط، د.ت)، كتاب الجهاد، بَابُ قَتْلِ الْأَسِيرِ وَلَا يُعْرَضُ عَلَيْهِ الْإِسْلَامُ، ج٣، ص٥٩. حكم الألباني: صحيح. رقم الحديث: ٢٦٨٣.

[2] الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج٨، ص٤٣٢.

[3] الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج٨، ص٤٣١.

نتائج البحث:

أثبت البحث عدة نتائج نختار منها الآتي:

١. أن نتيجة عبوس النبي صلى الله عليه وسلم وأثره النفسي في وجه أصحاب الحاجات الخاصة تبرز تعظيم الله لهؤلاء الأشخاص على الرغم من ابتلائهم ببعض العيوب الظاهرية. وعلى الرغم من أن عبوس النبي صلى الله عليه وسلم في وجه ابن أم مكتوم الذي لم يكن يظهر له، ولم يكن نيتجة للتهاون به، وإنما كان لانشغاله الدعوي، إلا أن الله عز وجل قد أنزل سورة قرآنية تتلى إلى يوم القيامة تسجل هذا الحدث، وذلك تعبير عن تقدير الله له وتكريمه لهذا الشخص على الرغم من حالته الجسدية. كما في دلالة وهداية عظمى هي أنه صلى الله عليه وسلم لم يختلق القرآن من عند نفسه، ولو كان كذلك لستر على نفسه هذا العبوس، ولم يذكر للناس تلك السورة التي تتحدث عن عبوسه في وجه ابن أم مكتوم.

٢. العبوس له آثار نفسية كبيرة على أي إنسان، فكيف لو كان في وجه رجل مبتلى بالعمى أو بمرض آخر، ذلك أن العبوس يعني تقطيب الوجه والإعراض والتولي وعدم التفاعل بشكل إيجابي ويعبر بشكل دال على عدم قبول أصحاب الحاجات الخاصة في المجتمع. وحينما تحدثت السورة عن عمى ابن أم مكتوم وقالت﴿ أَن جَآءَهُ ٱلأَعۡمَىٰ﴾ [عبس: ٢] فإن المقصود بهذا الوصف التعريف وليس التنقيص من مكانته وقدره، مع أن الله تعالى قال: ﴿ وَلاَ تَنَابزُواْ بِٱلأَلۡقَابِ﴾ [الحجرات: ١١]. ومتى ذكرت هذه الأشياء على جهة التنقيص فتلك الغيبة. بل إن المقصود الإشعار بعذره حينما أقدم على قطع كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفي هذا دليل على أن ذكر هذه العاهات جائز إذا كان لمنفعة، أو يشهد صاحبها، ومنه قول المحدثين سليمان

الأعمش، وعبد الرحمٰن الأعرج[1]. ورضوان الأطرش. وفيه أن الكافر مهما كان مبجلاً ومحترماً وله مكانة مرموقة في مجتمعه، فليس على المؤمنين أن يظهروا له التبجيل والاحترام، وفي المقابل لا بد من إظهار التبجيل والاحترام للمؤمن ولو كان في ظاهره مبتلى.

٣. ما حصل في سورة عبس لم يكن خطاب عتاب فقط لتصرف النبي صلى الله عليه وسلم في وجه ابن أم مكتوم، بل فيه تكريم عظيم له؛لأن الخطاب جاء بضمير الغائب، وفي هذا إجلال عظيم لشخص رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلطفاً به، إذ لم يقل له: عبست وتوليت. كما فيه دلالة على جواز اجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم وإيثاره الدعوة على التعليم، فهو قد فعل ما فعل اجتهاد منه وليس هناك نص قد خالفه. مثل ما حصل في حق سيدنا يونس عليه السلام حين فارق القوم بغير إذن من الله عز وجل. كما أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقصد بأي شكل من الأشكال إلى إظهار التعبس في وجه ابن أم مكتوم، ولا التولى عنه عمداً. لأن الله تعالى امتدحه في مكان آخر، فقال له: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦]، وقال له: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣]، وقال: ﴿وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧]، وقال: ﴿فَلاَ تَذْهَبْ نفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ [فاطر: ٨].

٤. فيه دلالة نفسيه أخرى، على أن ابن أم مكتوم كان يستحق الزجر والتأديب والعتاب لأنه أصر على التعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم، في وقت انشغال النبي صلى الله عليه وسلم بدعوة القوم، وفي ذلك الإصرار على

---

[1] أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، (بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط١، ١٤١٦هـ) ج٢، ص٤٥٢.

التعلم ساهم في إنزال الهم الشديد على قلب النبي الكريم، حتى ظهر على وجهه بشكل فيه عبوس. كما أنه رضي الله عنه كان يسمع ما يدور من محاورة بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين زعماء قريش، ورغم ذلك أصر على مقاطعة الحديث بينه وبين القوم. واعتبر بعضهم ذلك التصرف من ابن أم مكتوم معصية عظيمة.

٥. أظهرت الهدايات النفسية أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى الرغم من أنه كان يعلم بأهمية تعليم الإسلام للكفار والدعوة إليهم، إلا أنه في هذه الحالة الخاصة مع ابن أم مكتوم، قام بالتعبس في وجهه. وذلك كان بسبب أن ابن أم مكتوم كان مسلماً وقد تعلم ما كان يحتاج إليه من أمور الدين، في حين أن الكفار لم يكونوا قد أسلموا، وكان إسلامهم قد يكون سبباً لإسلام جمع عظيم. والعبرة من ذلك تقديم الأهم على المهم، ولو تم إسلام القوم لوزن بخيرات الدنيا كلها، لأن إسلام زعماء القوم فيه رجاء إسلام من يتبعهم من قومهم، فيستوجب بإسلامهم من جزيل الثواب، وعظم المنزلة ما لا يبلغه آخر بجميع محاسنه.

٦. أثبت البحث ضرورة قبول واستيعاب ذوي الاحتياجات الخاصة، وهذا مأخوذ من سورة عبس التي استنبط منها هدايات قبول أصحاب الحاجات الخاصة، وهذا ما يدعو إليه النص إلى قبول واستيعاب الأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة داخل المجتمع. كما يؤكد على أهمية قبول التنوع وخلق بيئة داعمة لأولئك ذوي الإعاقة. من خلال تلك الهدايات النفسية التي تؤكد على الواجب الأخلاقي والديني لمعاملة أفراد ذوي الاحتياجات الخاصة بالرحمة والتعاطف والكرامة. ويشجع على المشاركة الفعَّالة في دعم حقوق ورفاهية هذه الفئة المهمشة، مع التعرف على قيمتهم وإمكانياتهم المحتملة في المجتمع.

٧. الترابط بين الإيمان والصحة النفسية: ناقشت الهدايات النفسية المستنبطة من سورة عبس العلاقة بين الإيمان بالله عز وجل والعافية النفسية، فالإيمان قوته وضعفه يؤثر على النفس السليمة والمرضية إيجابيًا على الصحة النفسية. فكلما كان الالتزام بالتعاليم الدينية، بما في ذلك طلب الغفران للذنوب وأداء الأعمال الصالحة، فإن ذلك يؤدي إلى التطهير الروحي والشعور بالسعادة النفسية، وتجنب اليأس، كما تسهم في الصمود النفسي والاستقرار العاطفي.